المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعـة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلـد 14 -- العدد 02 -- ديسمبر 2022 ص 160 - 176

"أيث بويحيي": قبيلة من الريف الشرقي المغربي: أصولها وبنياتها الاجتماعية والسياسية"

Eith Bouyahi': is a tribe from the Morocco's ' Its origins and social structures and :Eastern Rif political

د. محمد بنعلي، أستاذ باحث benali.1980@hotmail.com	الجغرافية البشرية	مختبر البحث: المجال، التاريخ، الدينامية والتنمية المستدامة، الكلية متعددة التخصصات تازة/ المغرب

DOI :

الإرسال: 2022/10/24 القبول: 2022/12/11 النشر: 2022/12/22

ملخص:

تنتمي قبيلة أيث بويحيي إلى القبائل الريفية التي عمّرت منطقة الريف الشرقي المغربي منذ القرن السادس عشر على الأقل، وحول أصولها اختلف الباحثون والمؤرخون الأوائل، كما اختلفوا حول أصول الأمازيغ، غير أن واقع الحال يقول أنها قبيلة أمازيغية تقطن القسم الجنوبي من الريف الشرقي، يمتد نفوذها من العروي شمالا إلى حدود جرسيف جنوبا، تحدها شمالا قبيلة قلعية، ومن الشرق تحدّها قبيلة أولاد ستوت العربية، أما في الغرب فنجد قبيلة لمطالسة القريبة اجتماعيا وثقافيا وحتى لغويا من قبيلة أيث بويحيي، في حين تُحدُّ من الجنوب بقبائل عربية.

تعرَّضت قبيلة أيث بويحيي لتهميش كبير في التاريخ المعاصر، إذ لم نعثر سوى على إشارات قليلة حولها؛ غالبيتها إسبانية، وذلك بالرغم من دورها الفعّال في المقاومة التحريرية ضد الاستعمار الإسباني مع مطلع القرن العشرين، فالقبيلة خاضت إحدى أكبر المعارك في حرب الريف المغربية وهي معركة "عهد العروي"، بحيث ألحقت بالمستعمر الإسباني هزيمة نكراء كلّفته أزيد من 2600 من الجنود، وكادت أن تساهم في تحرير مدينة مليلة السليبة، ومع ذلك لم نجد ما يشير إلى أهميتها في كتب التاريخ، من هنا كانت رغبتنا من هذا المقال هو كشف الغموض عن قبيلة أيث بويحيي وأهلها، من خلال دراسة لأصولها وبنياتها الاجتماعية والسياسية.

الكلمات المفتاحية : أيث بويحيي؛ الريف الشرقي المغربي؛ سهل الكارت؛ الأمازيغ؛ القبيلة.

Abstract:

The tribe of Eith Bouyahia belongs to the Rif tribes that have lived in the eastern Rif Moroccan region since at least the sixteenth century, and about its origins the early researchers and historians disagreed, as well as disagreed on the origins of the

Amazighs, but the reality of the situation says that it is an Amazigh tribe that inhabits the southern part of the eastern countryside, its influence extends from Aroui in the north to the border of Grasif in the south, bordered to the north by the tribe of Qalaiya, and from the east bordered by the Arab tribe of Awlad Stout, while in the west we find the tribe of Lamtalasa nearby socially, culturally and even linguistically It belongs to the tribe of Eith Bouyahi, while the south is bordered by Arab tribes.\r\nThe tribe of Eith Bouyahia has been greatly marginalized in contemporary history, as we have found few references about it; the majority of them are Spanish, despite their active role in the liberation resistance against Spanish colonialism at the beginning of the twentieth century, the tribe fought one of the largest battles in the Moroccan Rif War, the battle of the 'Era of Aroui', so that it inflicted a terrible defeat on the Spanish colonialist that cost him more than 2600 soldiers, and almost contributed to the liberation of the city of Melilla al-Saliba, yet we did not find any indication of its importance. In the history books, from here it was, Hence our desire from this article was to unravel the mystery of the tribe of Eith Bouyahi and its people, through a study of their origins and social political structures

Keywords: Eith Bouyahi; Morocco's eastern Rif; Gart plain; Amazigh; tribe.

مقدمة:

تعتبر قبيلة اَيث بويحي إحدى أكبر القبائل بالريف الشرقي المغربي (أقاليم الناظور والدريوش وجرسيف)، ويتحدث أهلها اللغة الأمازيغية، معتمدين على اللهجة الريفية، فاللغة ميزة أساسية للإنسان البويحياوي، غير أن تميزه ينطلق من امتداد القبيلة جغرافيا على مجال واسع، وكذا بمساهمتها الفعالة في رسم تاريخ المنطقة، فاَيث بويحي اشتهروا ببسالتهم في مقاومة المستعمر الإسباني، كما اشتهرت القبيلة بصراعاتها مع القبائل المجاورة لها (أولاد ستوت ولمطالسة).

رغم الامتداد الواسع لقبيلة اَيث بويحي في المجال الجغرافي للريف الشرقي؛ إلا أن الدراسات المنجزة حولها لا تكاد تُذكر، بل كل ما نجده هو إشارات هنا وهناك، وأكثر الإشارات نجدها في الكتابات الإسبانية مثل كتابات Ghirelli الموجودة بالمكتبة الوطنية بإسبانيا. كما نجد إشارات في الكتابات الإسبانية التي ذكرت معركة "عهد أوعروي" الخالدة، والتي كبّد خلالها البويحياويون خسائر فادحة للإسبان. وأمام هذا الشحّ الكبير في المعطيات عن قبيلة اَيث بويحي؛ ارتأينا المشاركة بهذا المقال حول

البنيات الاجتماعية والسياسية لقبيلة أيث بويحيي، لعلنا بذلك نزيح اللثام عن جانب منسي من هذه القبيلة، وفاتحين بذلك المجال لمزيد من الأبحاث والدراسات حول قبيلة كانت لها بصمتها في تاريخ المنطقة.

إن دراسة بنيات القبيلة الاجتماعية والسياسية؛ تدفعنا إلى اعتماد منهاج تحليلي وصفي، نستعين فيه بالمقاربة التاريخية، لعلنا بذلك نجد إجابات واضحة عن قبيلة أيث بويحيي، وذلك بالبحث عن الإشكاليات التي تحوم حول أصلها، ولغتها، ودورها في تاريخ المغرب المعاصر، وسيكون ذلك بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

من هم أيث بويحيي؟ وما أصلهم؟ وما موقعهم من بلاد الريف المغربي؟ وما مميزات البنية الاجتماعية والسياسية لقبيلتهم؟

1- أيث بويحيي: قبيلة أمازيغية اللسان رغم الشكوك التي تحوم حول أصولها

تعتبر قبيلة أيث بويحيي إحدى أكبر القبائل الأمازيغية المستوطنة بالريف الشرقي (الخريطة1)، وحول نسبها كما نسب الأمازيغ اختلافات كبيرة، كانت ولا زالت، فهذا الناصري في كتابه الاستقصاء يفتتح كلامه حول نسب الأمازيغ بالقول: «أعلم أن الناس اختلفوا في تحقيق نسب البربر، وإلى أي أصل من أصول الخليقة يرجعون»، (الناصري, الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد، 1954، صفحة 53) فأورد في كتابه العديد من الأقاويل التي حاولت تحديد نسب الأمازيغ، وأنهاها بالقول: «إن جيل البربر من ولد حام، وأنهم جيل قديم قد سكنوا المغرب عندما تناسلت ذرية نوح عليه السلام وانتشرت الخليقة على وجه الأرض، ثم تلاحقت بهم بقية بني كنعان من الشام عندما أجلاهم نون عليه السلام أولا ثم داوود عليه السلام ثانيا»، (الناصري, الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد، 1954، صفحة 56) إن الاختلاف الحاصل في أصول الأمازيغ هو أمر طبيعي، غير أن المتفق عليه في كتب التاريخ أن الأمازيغ عُرفوا بخصال حميدة تمزج بين الكرم والشجاعة، فالناصري نفسه يقول في حق الأمازيغ: « وإلا فالبربر جيل معروف من أعظم الأجيال وأعزها، ولهم الفخر الذي لا يجهل، وقد تعددت فيهم الدول، وكثرت فيهم الملوك العظام، وكان لهم القدم الراسخ في الإسلام، واليد البيضاء في الجهاد. ومنهم الأئمة والعلماء والأولياء والشعراء،

وأهل المزايا والفضائل». (الناصري, الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد، 1954، صفحة 57) كما أننا نجد من الأمازيغ قبيلة زناتية عريقة بحجم قبيلة أيث بويحيي، والتي أجمعت المصادر التاريخية أنها كانت موجودة بسهل الكارت على الأقل إلى حدود القرن 16م الموافق للقرن 10هـ، فليس حدّ القرنين السابع والعاشر الهجريين المقترحين للعمارة، سوى التعبير عن حدوث أكبر موجات تعمير صحراء كارت التي سيتحول إسمها إلى بني بويحيى. (الفكيكي, حسن، 2014، صفحة 33) وقد ارتبط تعمير الكارت بحدوث هجرات كثيفة انطلقت من مناطق مختلفة، خلال فترات متباينة، فإذا كان من المسلمات أن أيث بويحيي أمازيغ اللسان، وهم كذلك إلى اليوم، فإن واقع الحال يقول إن الكارت يستقر فيه الأمازيغ جنبا إلى جنب مع قبائل عربية مثل: قبيلة بني وكيل وقبيلة أولاد ستوت، فالمنطقة شهدت اندفاع العرب المعقليين والهلاليين خلال القرن الثامن الهجري، لتتوالى الهجرات خلال القرنين التاسع والعاشر المواليين، وهو الزمن المقدر لظهور السمات السكانية التنظيمية المحتفظ بها إلى الفترة الراهنة. (الفكيكي, حسن، 2014، صفحة 33)

الخريطة2: الامتداد الجغرافي لقبيلة أيث بويحيي بالريف الشرقي

المصدر: إنجاز محمد بنعلي انطلاقا من التحريات الميدانية وموقع
http://tribusdumaroc.free.fr/aitbouyahyi.php

غير أن حول أصول آيث بويحيي جدال قائم إلى اليوم، إذ لا نجد اتفاقا بين المؤرخين حول أصولهم، فمنهم من يرى أنهم عرب يمنيون ينتسبون لطلحة اليماني، قدِموا إلى المغرب قبل القرن 16م، واستقروا بداية بمنطقة "أكنانت" أو "تنانت"، نواحي جبل أمزكوط، وهذا الموقف عبر عنه القاضي الورياشي في تقييد بالزاوية الكركرية عند السيد أحمد الكركري. أما أنجلو غريلي «فيَرُدّ أصل آيث بويحيي إلى قبيلة هميان أو حميان العربية وهم قسم من بني هلال، هاجروا من ساقية بوعنان بزعامة الأمير أبو يحيى بن عمار إلى الشمال فانتشرت في بوعرك وصحراء كرط ليشكلوا أساس قبيلة آيث بويحيي»، (غريلي، أنجلو، 2009، صفحة 22) فإذا اعتبرنا جدلا أن أصل آيث بويحيي عربي، فكيف يمكننا تفسير لسانهم الأمازيغي؟ وهل يعقل أن تتحول قبيلة بأكملها من لغة إلى أخرى؟ إن التأثيرات اللغوية أمر وارد حينما يتعلق بالأفراد، أما والحديث هنا عن قبيلة بأكملها فالأمر صعب، فهذا غابرييل ديلبريل يقول: «آيث بويحيي هم من نفس العائلة البربرية لمطالسة خاصة فيما يتعلق باللهجة» ، (Delbrel, Gabriel, 1911, p. 109) ونحن نعلم أن قبيلة لمطالسة كانت تستغل الكارت قبل قدوم آيث بويحيي، فهل يُمكن القول إن لسان آيث بويحيي تأثر بلسان لمطالسة الأمازيغي؟ إن كان كذلك فلِما لم تتأثر باقي القبائل العربية التي كانت موجودة في الكارت كقبيلة أولاد ستوت وبني وكيل؟ إن الفصل في أصل آيث بويحيي أمر صعب، وإصدار الأحكام دون تمحيص غلو، لذا لابد من القيام بمزيد من البحوث الشاملة لكل مناحي حياة آيث بويحيي، وصولا لإثبات أصولهم.

2- البنيات الاجتماعية لقبيلة آيث بويحيي منسجمة قبل قدوم المستعمر الإسباني

لقد حظي التاريخ السياسي والعسكري للريف باهتمام واسع في الكتابات الوطنية والأجنبية، غير أن تاريخه الاجتماعي والاقتصادي ظل مهمشا، ولا يتم ذكره سوى في إشارات عابرة، والحالة هذه تفرض التقاط كل الإشارات الواردة في الكتب حول البنية الاقتصادية والاجتماعية لساكنة الريف، مع الاستعانة بالروايات الشفوية لتأكيد تلك الإشارات أو نفيها.

ومن المعلوم عندنا أن المجتمع المغربي قبل الاستعمار كان يتكون من وحدات بشرية متداخلة ومتجانسة ومتماسكة، يتم الانتقال فيها من الخلية الاجتماعية القاعدية وهي

الأسرة إلى المجتمع القبلي الموسع مرورا بالدوار ثم الفخذة. (Pascon, Paul, 1980, p. 13) وقد شكلت القبيلة عبر تاريخ الأمازيغ الإطار المنظم لجميع العلاقات، في مجال ريفي تنعدم فيه الحواضر، وتسوده الممارسات البدائية في وسائل العمل كالمحراث الخشبي والرحى والمغزل...، فالقبيلة كانت تشكل الوعاء الحاضن للإنسان والمجال، بسلبياتهما وإيجابياتهما، وهذا ما يؤكده جرمان عياش بقوله: «وعلى الرغم من وجود مِلكية خاصة للأراضي الزراعية، وعلى الرغم أيضا من كون الأنشطة موسومة سلفا بتقسيم العمل، فإن القبيلة البدائية تظل هنا، أكثر مما هو عليه الأمر في مناطق أخرى، الإطار المتين لكل المجالات الحياتية. وهذه القبيلة مقسمة إلى أفخاذ، ومتفرعة إلى مجموعات أسر، يجمع بينها الشعور بالانتماء إلى رابطة القرابة، مما يجعلها تشكل كيانا متميزا»، (عياش, جرمان، 1986، الصفحات 191-192)تتدخل القبيلة عند الضرورة لضبط الإيقاعات كلما بدا لها انفلات في وضعية معينة. إلا أن الحياة الاجتماعية بالريف ومعها بسهل الكارت لم تكن تقتصر على القبيلة، بل على نظام اجتماعي تراتبي، في قمته القبيلة، ممثلة في قبيلة آيث بويحيي، التي كانت تتكون من مجموعات من الأسر المتلاحمة والمنسجمة مع بعضها البعض، مكونة ما يسمى "بالعظم"، أي مجموعة أسر منتظمة في شكل جماعات تستوطن كل واحدة منها دوارا، ومن هنا يتضح أن البنية الاجتماعية بسهل الكارت تشكلت قبل قدوم المستعمر من: الأسرة كأصغر خلية اجتماعية ثم العظم فالفرقة والأرباع فالقبيلة، وكل طرف كان يقوم بدور محدد، واستمر هذا الوضع لقرون من الزمن، مما ضمن الاستمرارية للإنسان الريفي ومعه لإنسان قبيلة آيث بويحيي، إلى حين قدوم المستعمر الاسباني.

2-1- الأسرة عند بويحيي: من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية

في المجتمع القبلي بمغرب ما قبل الاستعمار هي عموما أسرة ممتدة تتكون من أبوين وأبناء متزوجين وذريتهم، يعيشون مجتمعين في مسكن واحد، ومتعاونين في الإنتاج ومشتركين في ملكية عقارية غير مقسمة، (التوفيق, أحمد، 1983، صفحة 110) وشكلت الخلية الأساسية للمجتمع بآيث بويحيي، حيث تكونت إلى جانب الأب وزوجته أو زوجاته من الأبناء والأحفاد، وقد يُضاف عليهم الإخوة وزوجاتهم وأبنائهم، وبعض الأشخاص الذين قد تكون أو لا تكون لهم روابط دموية مع الأسرة، والذين يعملون عندها كرعاة أو

خماسة...، وكانوا يعيشون حياة جماعية في مسكن واحد يتسع للجميع، « ويقومون بالأعمال التي تتطلبها هذه الخلية تحت إشراف رئيسها الذي هو الأب الأكبر المالك لكل شيء والساهر على تسيير شؤون المنزل» (زروالي, علال، 2001، صفحة 100) وقد يكون الأخ الأكبر هو من يتولى شؤون الأسرة في حال وفاة الأب، لأن شرط الرئاسة هو أن يتولاها الذكر الأكبر سنا داخل الأسرة، والذي يُعتبر بمثابة "رأسمال رمزي" لكثرة الأدوار التي يقوم بها داخل الأسرة وخارجها، فهو الذي يحدد الأعمال المطلوب إنجازها ويوزع الأدوار بين أفراد الأسرة حسب الجنس والسن والمؤهلات الجسمية والخبرة... فمسؤولية توفير موارد العيش ملقاة على عاتق جميع أفراد الأسرة، فيساهم كل واحد منهم حسب تخصصه، فكانت الأعمال التي يقوم بها الأطفال والنساء في آيث بويحيي تختلف عن تلك التي يمارسها الرجال، بحيث كانت النساء تمارسن إلى جانب الأعمال المنزلية أنشطة أخرى مرتبطة بالصناعة التقليدية (الحصير، الحبال، والأطباق ...) وبعض الأعمال الزراعية. بينما كان الأطفال يقومون بالنشاط الرعوي، وإذا تعذر ذلك يتم التعاقد مع فرد من خارج الأسرة، وهذا ما يقودنا للحديث عن العبيد في بلاد الكارت، حيث كانت الأسر البويحياوية الغنية تستعين بهم في عمليات الإنتاج المختلفة، ويتم تحريرهم إما لتقاعسهم عن العمل، أو طلبا للثواب، وهنا نورد شهادة مكتوبة حرر من خلالها المسمى قيد حياته أحمد بن محمد الشيخ الزبايري مملوكه سالم، وهذا نصها:« الحمد لله، أشهد على نفسه المقدم السيد أحمد بن محمد الزبايري ثم البويحياوي، أنه أعتق مملوكه سالم الذي نعته أسود اللون، أحول العينين، طويل القامة، خفيف اللحية، بربري اللسان، عتقا صحيحا جائزا ناجزا بتا مبتلا، ألحقه بأحرار المسلمين لهم وعليهم ولم يبق عليه ولا عبودية لأحد في خلق الله تعالى، حاشى سبيل الولاء على ما أحكمته السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء ممن أُعتق قصد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، والدار الاخرة، إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب راجيه وقاصده أملا عرفا فقرره. وشهر به عليهما وأشهره به وهي الكتم وعرف بينهم تقدم العتق لثلاثة أعوام، وقد أقر الرسم مع حفظ الشهادة لمنتصف رمضان المعظم عام تسعة وعشرون ومائتين وألف.

عبد ربه محمد بن موسى وفقه الله محمد اليزناسني لطف الله به».

ومن خلال الروايات الشفوية تم تأكيد حضور العبيد في مجتمع آيث بويحيي، كما أن أدوارهم كانت متعددة تشمل جلب المياه من العيون على أظهرهم في أواني طينية وجلدية، بالإضافة إلى اشتغالهم في الزراعة من خلال قيامهم بعمليات الحرث والحصاد والنقل وطحن الحبوب بالرحى اليدوية المصنوعة من الحجر، غير أنه لا يمكننا الجزم في أعدادهم وأصولهم.

نشير في الأخير إلى أن الأسرة في قبيلة آيث بويحيي إلى حدود قدوم المستعمر كانت ممتدة، تتجاوز الأب والأم إلى الأبناء والأحفاد، بل وقد يُضاف إليهم بعض الأجانب كالعبيد، يعيشون في مسكن واحد يسمى بالكانون، غير أن الأسرة بهذا المفهوم لم يكن ممكنا استمرارها ودوامها، إذ كان لابد لها من التفكك، فهي تمر بمرحلة النشوء، والتوسع فالتفكك، فهذه دورة حياتية، مرت منها الأسر القديمة على الأقل خلال القرن التاسع عشر، فدورتها كانت تتراوح بين جيلين أو ثلاثة أجيال كما أورد ذلك أحمد التوفيق، فالأوبئة والقحط والمجاعة كانت تتسبب في تفكك الأسر الكبيرة، (التوفيق, أحمد، 2011، صفحة 119) وتوسع أخرى على حسابها، وهذا مما يفند أي ادعاء بارتباط قوم ما بأرض معينة منذ الأزل، فقلما نجد أسرا محلية قروية عرفت تمكنا واستمرارا امتد بضعة قرون. وإلى جانب الأوبئة والمجاعات -وهي عوامل خارجية- نجد عوامل داخلية ساهمت في تفكك الأسر الكبيرة وهي تضاعف حجم الأسرة مرات عديدة، مما كان يعني تضاعف الحاجيات وتعقد العلاقات، وبالتالي ضرورة تفكك الأسرة ونشوء أسر جديدة، شكلت النواة الأولى للأسرة النووية التي تعتبر رمز الليبرالية الغربية، فالنموذج الأسري الغربي صار سائدا، حيث الاستقلالية أصبحت مطلبا عاما، ونمط العيش الجماعي الذي كان سائدا لم يعد ممكنا اليوم أمام التغيرات السريعة التي يشهدها العالم، والتي زادت من سرعتها وسائل الاتصال والمواصلات الحديثة، فتفككت الأسرة الممتدة الكبيرة ومعها النظام القبلي.

2-2- الدوار عند آيث بويحيي من وحدة سوسيو-مجالية إلى وحدة ترابية

يعرّف الدوار باعتباره وحدة سوسيو-مجالية مكونة من مجموعة أسر، تربط أفرادها عادة علاقات إنسانية نَمَت وتوطدت بفعل تظافر مجموعة من العوامل في مقدمتها: القرابة العائلية سواء كانت موروثة أو مستحدثة نتيجة المصاهرة، ثم المصالح المشتركة وتبادل الجوار والتعايش. (الأكحل, المختار، 2001، صفحة 41) ويسمى الدوار في قبيلة اَيث بويحيي ب "دْشَار"، وكانت الأسر المكونة للدوار تتقاسم المجال الترابي وِفق أعراف وتقاليد القبيلة، كما يحمل الدوار عند اَيث بويحيي اسم شخص، يَعتقد أفراد هذا الدوار بأنه جَدّ أعلى ينحدرون منه، وهنا نشير إلى وجود اختلافات كبيرة حول أسماء الدواوير والفخذات التي كانت تتشكل منها قبيلة اَيث بويحيي، لكونها شهدت تغييرات مهمة عبر الزمن، وهذا ما يتضح من خلال مقارنة أسماء الدواوير الحالية بأسماء سابقة، فنجد خلوها من أسماء كانت موجودة فاندثرت، ولعل هذا ما يشير إليه الأستاذ حسن الفكيكي بالقول: « وينبغي معرفة أن هناك صعوبة تكاد تكون عامة يَعْسُر جبرها والتغلب عليها، إذ أن أسماء التجمعات طرأ عليها تغيير كبير، وذلك بناء على التحول الطارئ الناتج عن اندثار أو ضآلة الشهرة التي ميزت أسرة ما قبل الحماية وأثناءها عن الأسر التي عاشت فترة الاستقلال إلى اليوم» ، (الفكيكي, حسن، 2014، صفحة 41) ولعل هذا من الأسباب التي ساهمت في فقدان الدوار لسماته القديمة، فلم يعد الدوار اليوم يُعبر عن تلك الوحدة المجالية لتشكيلة بشرية كان يُهيمن عليها في السابق الطابع العائلي، «وإنما أصبح يتشكل من وحدات سكنية ومنازل متناثرة لا تجمعها أصول مشتركة عائلية أو إثنية ولا تتجمع حول مرفق معين، وإنما تتجمع أكثر حول روابط الجوار وتبادل بعض المنافع، ليتحول الدوار في الظروف الراهنة إلى مفهوم ترابي يعبر عن واقع اجتماعي واقتصادي مركب ومتعدد الأبعاد» (الأكحل, المختار، صفحة 53) فحدود الدوار لم تعد واضحة كما كانت، بل أن الغموض يسود عند فئات واسعة من قاطني هذه الدواوير، ويزداد الغموض لعدم الاعتراف بالدوار كوحدة إدارية في سلّم التقسيم الإداري للتراب الذي يقف بالأرياف عند حدود الجماعة القروية، لذلك لا نجد تصورا موحدا لحدوده حتى لدى الإدارات المتدخلة في تأطير المجال الريفي، وكل ما نجده هو تعريف مبسط للدوار قدمته وزارة الداخلية يوم 27 نونبر 1964 ورد فيه: أن الدوار هو مجمع لعائلات مرتبطة بروابط واقعية أو خيالية موافقة لخلية ترابية قد تكون أو لا تكون لها طرق استغلال جماعية وتُسير غالبا من طرف لمقدم. وفي هذا التعريف تعتبر الإدارة الترابية الدوار كحيز مجالي قاعدي للتأطير السياسي

لجماعة من السكان، يقومون بالاستغلال الاقتصادي لهذا الحيز تحت إشراف جهاز المراقبة التقليدي الممثل في المقدم والشيخ، كما لم يعد الانتماء العائلي شرطا لتعريف الدوار، ولذا نجد حاليا في سهل الكارت دواوير جديدة تتنوع فيها الانتماءات العرقية والقبلية، فالإنسان البويحياوي اختلط مع باقي الاجناس القادمة من مختلف المناطق المغربية، مما أفقد الأصالة لدواوير الكارت، وجعلها تحمل أسماء لا علاقة لها بالأسماء المستعملة في المنطقة، كما نلاحظ ظهور دواوير جديدة لم تكن موجودة.

3- التنظيم السياسي القبلي بالكارت وسيلة للاستقرار الأمني والاجتماعي لأفراد القبيلة

احتل النظام القبلي مكانة مرموقة في الحياة العامة للمغاربة، واستمر يحتلها ويطبعها بطابعه إلى عهد قريب، فخلال قرون طويلة كانت القبيلة هي المحور الذي تدور حوله جميع الحركات السياسية والتقلبات الاقتصادية والتطورات الفكرية والاجتماعية، ينطبق هذا الوضع على معظم قبائل المغرب، ومنها قبيلة آيث بويحي الأمازيغية، « فالقبيلة عند الأمازيغ هي عماد النظام ومحور الحياة، سواء كانت رحالة تعيش على الريادة، أو مستقرة تتكسب من الفلاحة وتربية الأنعام» ، (بنمنصور, عبد الوهاب، 1968، صفحة 280) وتعتبر أعلى قمة في النظام السياسي والاجتماعي، « وهي مقسمة إلى أفخاذ، ومتفرعة إلى مجموعات أسر، يجمع بينها الشعور بالانتماء إلى رابطة القرابة، مما يجعلها تشكل كيانا اجتماعيا متميزا»، (عياش, جرمان، 1986، صفحة 192) وهذا ما يسميه ابن خلدون بالعصبية، فالقريب بالنسب لا يرضى الظلم والاعتداء على أقربائه، لذا تجده يودّ لو يحُول بينهم وبين المصائب التي تقع لهم، وهذه نزعة طبيعية في البشر منذ خلقوا. (خلدون, عبد الرحمن بن محمد بن، 2011، صفحة 122) وهناك من المؤرخين وعلماء الاجتماع من يُشكك في هذا الترابط، ويعتبر النسب أمر وهمي لا حقيقة له، وما التعاون والمناصرة بين أفراد القبيلة إلا شيء مؤقت تفرضه المصلحة الخاصة، ويستدلون بقولة مشهورة عند العرب مفادها " أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب"، ومن دعاة هذه النظرية الانقسامية نجد مونطاني وكيلنير بالأطلس وهارت وجاموس بالريف، وجميعهم اعتمدوا النظرية الانقسامية في تحليل التنظيم الاجتماعي عند الأمازيغ، فعندما تحدث

هارت عن القبيلة الانقسامية بالريف أشار إلى أن كل قبيلة تنتهي أصولها إلى جد مشترك، فهي مقسمة إلى أعداد من العشائر، وكل عشيرة مقسمة إلى مجموعة صغرى، وكل واحدة من هذه المجموعات الصغرى تنقسم إلى سلالات إلى أن يصل التقسيم إلى الأب والأم والأولاد. (Hart, M.D, 1965) فإذا كان الاختلاف والانقسام أمر واقع على المستويات الصغرى والكبرى للقبيلة -خلال فترات السّلم-، فإن ذلك ينتفي بمجرد بروز خطر أجنبي مُحدق، « حيث تؤلف الأسر في نطاق القبيلة حِلفا في ساعات العُسرة، وتسير صفا واحدا لشن غارة على عدو وتقف كالبنيان المرصوص لصد هجمات مُغِير، وهم يُلبون في ذلك نداء الدم ولا يستجيبون لداعي العقل»، (بنمنصور, عبد الوهاب، 1968، الصفحات 280-281) فالخلافات بين أفراد القبيلة سُرعان ما تختفي -أو على الأقل يتم تجميدها إلى حين- وذلك حين يتهدد الخطر القبيلة أو بعض أفرادها. وهنا نجد مونطاني يتحدث عن مفهوم (اللف)، ومعناه نظام التحالفات القبلية، وهذا النظام تصوره مونطاني في إطار بنية محددة أي تحالف يخضع لبنية معينة، فالتحالف هو عبارة عن سلسلة من الحلفاء والخصوم. ولم يكن اللف لينجح دون تكتل أفراد القبيلة، وهنا لا بد من الإشارة إلى العلاقة بين الفرد والقبيلة التي ينتمي إليها، فالفرد في آيث بويحي كان في كل الحالات شديد الإخلاص لقبيلته شدة إخلاص القبيلة له، هي تمنعه من طالبيه وتدافع عنه بالقوة وتتحمل عنه الديون والديات، وهو يجود بنفسه في نصرتها، ويتحاشى معرة خذلانها، وينوه بمآثرها، ويتغنى بأمجادها، ويرى لها الفضل على من عداها، همه الأكبر أن يبصرها عزيزة الجانب، منيعة الحوزة.

القبيلة عند آيث بويحي ليست كيانا اجتماعيا فحسب، وإنما هي أيضا وحدة جغرافية ذات مقاطعة واضحة المعالم، تحتوي على أراضي زراعية وغابات ومراعي، وسوق أسبوعية لبيع الغلات وشراء لوازم الحياة وإصلاح الآلات والتقاضي لدى الحكام، « وحول مختلف الأسواق الأسبوعية، تنساب الحياة الاقتصادية بين القبيلة أولا، إلا أن المبادلات تقوم أيضا مع القبائل المجاورة» ، (عياش, جرمان، 1986، صفحة 193) بل كانت تتم أيضا مع الاسبان في مليلة المحتلة، وهذا ما عبّر عنه "غابرييل ديليبريل" بقوله: «آيث بويحي كانوا يتوفرون على قُطعان كبيرة من الماشية والخيول، هذه الأخيرة كانوا يستأجرونها من أجل

نقل السلع الفلاحية والحبوب من مناطقهم إلى مليلة، وحتى داخل الريف الشرقي أو شرق المغرب». (Delbrel, Gabriel, 1911, p. 111)

تعتبر قبيلة آيث بويحيي من أكبر قبائل الريف الشرقي، ولعل امتدادها الجغرافي وإشعاعها في مناطق الريف الشرقي وخارجه لم يكن ليحدث لولا وجود نظام قبلي يعكس الحياة السياسية بالمنطقة، وهنا لابد من الإشارة إلى أن كل تشكيلة اجتماعية عند آيث بويحيي -وعموم الريف- كان لها جهاز إداري يقوم بتدبير أمورها السياسية والاجتماعية والاقتصادية يمكننا تصنيفه كالاتي:

-**مجلس الدوار**: كان يتكون من فردين أو ثلاثة عن كل عرق أصلي، وهذا يعني أن الأسر الطارئة لم يكن لها الحق في المشاركة في هذا المجلس، (زروالي, علال، 2001، صفحة 104) وكانت مسؤوليات هذا المجلس ترتبط بكل المسائل الاقتصادية: كإصلاح الأراضي وحفر الابار، وتنظيم السقي وشق الممرات والمسالك وبناء المساجد، وكان المجلس يراقب سير الأعمال التي يشارك فيها الجميع، وفي حالة رفض أو تغيب أحدهم كان يُقدم للشيخ ليفرض عليه ضريبة معينة حسب أعراف جماعة الدوار.

-**مجلس الفخذة**: يعتبر أهم مؤسسة اجتماعية، وكان يتكون من ممثلين عن مجالس الدواوير، فالأفراد المنتمون إلى الفخذ كان يوحدهم اسم مشترك، ونظرا لارتباطهم بمصالح متداخلة فيما بين الأسر، فإن الجماعة المنتخبة تحاول دائما أن تحافظ على العلاقات، كتحديد مواعيد استعمال المراعي والحرث والحصاد أو الإشراف على الدخول في الحرب... (الطيبي, عبد الرحمن، 2007، صفحة 197) ويتولى المجلس الأمور السياسية والإدارية، غير أنه لا يُقرر في الأمور المتعلقة بالقبيلة باعتبارها من اختصاص مجلس القبيلة.

-**مجلس القبيلة**: أعلى سلطة سياسية بقبيلة آيث بويحيي، على رأسها رئيس يسمى "أمغار"، يكتسب هذا اللقب بما يتوفر عليه من الجاه وسداد الرأي والقوة الفعلية والسياسة القبلية، (البوعياشي, أحمد عبد السلام، 1974، صفحة 44) وكان يترأس ما يسمى باللّف، الذي يتم تشكيله حينما يجتمع كبار القبيلة "إمغارن" في بيت أحدهم،

فيؤدون القَسم، ويتخلل ذلك طقس نحر الأضحية كإعلان عن نشأة الحلف، ويقوم الأفراد المعنيون داخل هذا الحلف بمقاسمة الطعام كتعبير عن توافقهم وتآزرهم ليعينوا بعدها رئيس اللف "أمقران نرف" أو "أمغار نرف" الذي يهب بشخصه خدمة لهذا التحالف، (أُحدو, محمد، 2017، صفحة 105) وكان يجمع بين الوظائف السياسية والعسكرية، ويحرص على جعل كل الأطراف المعنية تلتزم بهذا الحلف، كما عليه أن يقوم بالتفاوض مع العدو بواسطة الشرفاء الوسطاء. ويُعين أمغار على رأس القبيلة لتنفيذ قرارات مجلسها، كما كان يتقدم إليه أفراد القبيلة بشكاويهم قصد حلها، فيستدعي مجلس الجماعة ليقوم بمعاقبة المتهمين، سواء بفرض غرامات مالية أو عينية عليهم، وهنا نشير إلى مكانة "أمغار" عند أفراد القبيلة مما جعل كلامه مطاعا، فهو صاحب هيبة وخبرة وعلم وورع وثقة وأمانة، ومعروف بسلوكه الحسن وبتبصره وشهرته بين القبائل، وكان مسؤولا عن المؤسسات الدينية وأماكن العبادة، وهو القادر على إقرار السلم وفرض النظام في القبيلة، ونشر العدالة بين أفرادها، كما كان يتولى قيادة الجيش وقت المعارك، فهو بذلك يجمع كل السلط، الدينية والدنيوية، وحتى لا يجعل منه ذلك "ديكتاتورا"، كانت القبائل تعيد انتخاب "أمغار" كل سنة، «وأحيانا بالتناوب بين الجماعات والأفخاذ الشيء الذي كان يسمح بنوع من الاستقرار» ، (زروالي, علال، 2001، صفحة 105) ولقد اعتبر "**هارت**" اعتمادا على (اروﻻ Erola) أن "أمغار" يُنتخب مدى الحياة في منصبه وبعد وفاته ينتقل المنصب إلى أحد أبناء عائلته، غير أن **عبد الرحمن الطيبي** يورد لنا رواية مخالفة **لهارت**، ويؤكد على أنه عند انتهاء مأمورية الشيخ المنتخب، يقوم الأعضاء الإثني عشر للمجلس بانتخاب شيخ جديد، ليست له علاقة قرابة بالشيخ السابق الذي يصبح عضوا شرفيا في الجماعة. (الطيبي, عبد الرحمن، 2007، صفحة 197) فالمناصب في هذه المجالس ليست حِكرا على أفراد معينين يتقلدونها بشكل متوارث، بل كانت هذه المناصب ترتبط بما للأفراد من مؤهلات وقدرات على معالجة قضايا الجماعة، إلى الحد الذي ذهب معه **أتيليو كوديو** (Attilio , Gaudion, 1962, p. 153)إلى اعتبار نظام هذه المجالس هو نظام قبلي جمهوري، وهو ما يبين الطريقة التي كان يتم بها اختيار أمغار، والذي كان يقوم على الاختيار، مما يؤكد انعدام الوراثة في هذا المنصب، فهناك أربعة عوامل من شأنها أن تقصي أمغار من وظيفته كرئيس داخل مجلس القبيلة وهي: العجز عن تحمل الأعباء ومعالجة القضايا الاجتماعية، أو بناءً على طلب الجماعة الممثلة داخل المجلس، أو في حالة

العجز في الدفاع عن الشرف وعن قيم الجماعة، وأخيرا عند غياب النزاهة في التحكيم بخصوص قضايا الجماعة.

إن أمغار هو رجل القوة الذي يحتل مكانة متميزة داخل مجموعته، فكل جماعة لها من يمثلها داخل مجلس "آيت الأربعين"، ويتوفر هؤلاء على مزايا فردية، وملكية مهمة للأراضي، إضافة إلى علاقاتهم الواسعة، فأمغار هو متحدث بارع، ليس فقط لضرورة معرفته باللغة الريفية "تريفيت"، ولكن لحسن استعمالها مع العامة من أفراد القبيلة، بحيث يُعرف عنه ترفّعه عن الدخول في مسلسل الشتائم، ولا يُقارن نفسه مع عامة الناس، ومن هنا كان لزاما على كل شخص يرغب في أن يُصبح أمغار أن يمضي وقتا طويلا في صحبة الرجال الكبار الذين سيُلقنونه العادات والتقاليد والخبرة الكافية لممارسة هذا الدور داخل الجماعة، وعليه أن يستمع إليهم وأن يترك مصاحبة الشباب. (أُحدو, محمد، 2017، صفحة 108)

ولا بد من الإشارة في هذا المقام إلى مجلس مهم في الريف يُعرف ب **"ايت أربعين"**، لأنه يضم أربعين شخصا يمثلون القبيلة، ويتم اختيارهم من بين الرجال المسنين من القبائل، وكانوا يعدون من الحكماء، وكانت تُرجع إليه استئنافيا جميع المشاكل التي تحدث على صعيد المجالس المحلية دون أن يجد رئيسها "أمغار" حلا لها. كما كان يتولى المجلس إبرام الاتفاقات والمصالحات مع مختلف القبائل المجاورة. فرغم أهمية مجلس "ايت الأربعين" إلا أننا وجدنا كتابات تاريخية تُنكر وجوده في قبيلة آيث بويحيي، فقد نقل محمد أحدو عن **إتيليو كوديو** قوله: « فقد كان لقبائل قلعية الخمس مجلس واحد ل "ايت أربعين"، في حين قبائل لمطالسة وآيث بويحيي لم تكن تتوفر على هذا المجلس، فكانت بذلك تخضع في قراراتها لايت أربعين لقلعية» (أُحدو, محمد، 2017، صفحة 111) ولعل في هذا الرأي نوع من التبخيس بقيمة قبيلة كبيرة تمتد على مجال واسع كقبيلة آيث بويحيي، فكيف يُعقل لقبيلة كهذه، مجالها الترابي يصل حتى حدود كرسيف، أن لا تتوفر على مجلس ايت الأربعين، بل وأن تكون خاضعة في قراراتها لقبيلة مجاورة، ونحن نعلم التنافس والصراع الذي كان يسود بين القبائل، وقد أجمعت الروايات الشفوية على وجود مجلس "ايت الأربعين" آيث بويحيي، فقد نقل الأستاذ الميلود كعواس عن أبيه أن جده المسمى محند

كعواس والمولود سنة 1880 كان يفِد لمنطقة تنانت (مركز آيث بويحيي التاريخي) لحضور مجلس ايت الأربعين، الذي كان عضوا فيه، صحبة القائد حدوش. (كعواس, الميلود، 2018، صفحة 153) وعليه يمكننا الجزم بوجود مجلس ايت أربعين عند آيث بويحيي، كما كان لهم العديد من القادة "إمغارن" منهم محمد بن عمر البوبكراوي وعمر بن عمر والقائد الحيرش... هذا الأخير توفي سنة 1910، وكان معروفا بشجاعته التي لا زالت تروى إلى يومنا، وخاصة ما تعلق بالحروب التي قادها ضد القبائل المجاورة، وهو جدّ القائد حدّوش الذي عُيِّن على قيادة آيث بويحيي بعد عزل القائد بنشلال.

الخلاصة

تعتبر قبيلة آيث بويحيي من القبائل الامازيغية التي تركت بصمتها في تاريخ الريف عموما وتاريخ الريف الشرقي على وجه الخصوص، بل إن دورها في تحرير المغرب لا ينكره إلا جاحد، فمعركة "عهد أوعروي" مرّغت جبروت إسبانيا في تراب الريف، وآثارها لا يزال التاريخ الإسباني يذكرها، ففي المعركة قتل البويحياويون أزيد من 2668 من الإسبان، وهي بذلك تعتبر ثاني أكبر معارك الريف بعد أنوال. كما ساهم النظام القبلي لآيث بويحيي في تقوية اللُّحمة مع باقي قبائل الريف الشرقي، بحيث يخضع نظامها القبلي لتراتبية في ممارسة السلطة، فهناك توزيع للأدوار بين الوحدات الصغرى والكبرى، فقاعدة المجتمع تتشكل من الأسرة كأصغر وحدة، وصولا إلى القبيلة كأعلى سلطة، وقد برزت قيمة هذ التنظيم القبلي مع قدوم المستعمر الإسباني، حيث برز "اللف" كشكل راق من التحالفات بين قبائل الريف، حيث القبائل تتحد خلف قائد واحد جسَّده في البداية الشريف محمد أمزيان، وبعده المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، ولم تكن انتماءاتهم القبلية مهمة، فرغم أن الأول من قبيلة قلعية، والثاني من قبيلة بني وراغل، إلا أن جميع قبائل الريف التفّت حولهم بما في ذلك قبيلة آيث بويحيي.

قائمة المراجع:

- أُحدو, محمد. (2017). "الريف الشرقي بالمغرب وبنياته التقليدية (نموذج قلعية) حكاية تاريخ وثقافة". الرباط: مطبعة بني ازناسن.

- أحمد التوفيق. (1983). "المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850 – 1912)" (المجلد الثانية). الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سلسلة أطروحات ورسائل.
- الأكحل, المختار. (بلا تاريخ). "التحولات المعاصرة للمسكن الريفي حالة هضبة بنسليمان". دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب. بالرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- الأكحل, المختار. (2001). "دينامية المجال الفلاحي بهضبة بنسليمان"(أطروحة لنيل دكتوراه). كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة: جامعة محمد الأول.
- البوعياشي, أحمد عبد السلام. (1974). "حرب الريف التحريرية ومراحل النضال" (المجلد الأولى). طنجة: منشورات عبد السلام جسوس وسوشبريس.
- الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. (1954). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (المجلد الأول، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري). الدار البيضاء: دار الكتاب.
- الطيبي, عبد الرحمن. (2007). "الريف قبل الحماية، قبائل ساحل الريف الأوسط 1860-1912". الرباط: مطبعة النجاح الجديدة.
- الفكيكي, حسن. (2014). "أطلس الريف الشرقي مباحث في الجغرافية التاريخية". الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
- أنجلو غريلي. (2009). "أسلمة وتعريب بربر شمال المغرب" (الإصدار منشورات وزارة الثقافة). (عبد العزيز ترجمة شهير، المترجمون) الرباط: مطبعة دار المناهل.
- بنمنصور, عبد الوهاب. (1968). "قبائل المغرب" (المجلد الأول). الرباط: المطبعة الملكية.

- خلدون, عبد الرحمن بن محمد بن. (2011). "مقدمة ابن خلدون". تحقيق درويش الجويدي، بيروت: المكتبة العصرية.
- زروالي, علال. (2001). "التحولات الريفية والتمدّن في الريف الشرقي" (أطروحة دكتوراه). المجلد الأول. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة: جامعة محمد الأول.
- عياش, جرمان. (1986). "المجتمع الريفي والسلطة المركزية المغربية (1850 – 1920)، دراسات في تاريخ المغرب" (المجلد الأول). الرباط: الشركة المغربية للناشرين المغاربة المتحدين.
- كعواس, الميلود. (2018). "معلومات جغرافية عن أراضي قبيلة آيث بويحيي وأهلها: دراسة وتحقيق". مجلة الذاكرة، الثالث.
- Attilio , Gaudion. (1962). "Rif, terre Marocain d'épopée et de légende".
- Delbrel, Gabriel. (1911). "Geografía general De la provincia Del Rif". Mlilla: Eltelegrama Del Rif.
- Hart, M.D. (1965). Conflicting models of berbère tribal structure in the moroccan Rif. Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerrannée.
- Pascon, Paul. (1980). "Les rapports entre l'état et la paysannerie, études rurales". Rabat: S.M.E.R.
- Gaudion Attilio .(1962) . Rif; terre Marocain d'épopée et de légende